

# عبدالرحمن يوسف يكتب : حرب الذاكرة من بشائر النصر



الأحد 23 أغسطس 2015 م

في الثاني من فبراير عام 1982 بدأ الرئيس حافظ الأسد حملته العسكرية ضد مدينة حماة السورية، والتي انتفاضت ضد حكمه الاستبدادي العسكري

بغض النظر عن تفاصيل ما حدث فقد سقط ضحية هذه العملية الأمنية العسكرية وفق مختلف التقديرات ما بين ألف قتيل (حسب التقارير الدبلوماسية في حينها) إلى 40 ألف قتيل (وفق تقديرات اللجنة السورية لحقوق الإنسان)، وهدمت أحياء بكمالها على رؤوس أصحابها، كما هدم 88 مسجداً، وتلاث كنائس، ومناطق أثرية وتاريخية نتيجة القصف المدفعي، فيما هاجر عشرات الآلاف من سكان المدينة هرباً من القتل والذبح والتنكيل

استغرقت تلك الحملة العسكرية 27 يوماً حسب ما نقلته المصادر الموثوقة، وقد دُكِّن فيها المدينة دكاً، باستخدام المدفعية الثقيلة، بل إن بعض الأحياء مثل حي الكيلانية والبارودية والزنبيقي قصفت بالطائرات على من فيها من السكان !!!

في بعض الأحياء جمع الرجال والشباب صفا واحداً، ثم داستهم الدبابات، وبعدهم نقل إلى "تدمر" واقتفي إلى الأبد (يقدرون بالآلاف).

بعد أكثر من عشرين يوماً من المعركة (أو المجازرة) سقطت حماة، وبدأت عملية استباحة كاملة لكل شيء في المدينة المنكوبة، قتل للكهار والصغار والأطفال الرضع والشيوخ والنساء، اعتداء على الأعراض ليس له مثيل، وكل ذلك تحت قيادة السفاح رفعت الأسد، وبإشراف السفاح الأكبر حافظ الأسد

غالبية المقيمين في سوريا لم يعلموا بالمجازرة إلا بعد أكثر من أسبوع من بدأها !

يقول لي صديقي (وهو سوري من مدينة حماة)، وكان يقيم خارج سوريا مع أسرته، أنه وأهله لم يعلموا بما حدث في مجذرة حماة إلا بعد انتهاء الحملة أصلاً!

قواعد اللعبة في مجذرة حماة (وما ماثلها من مجازر) ثلاثة : الأولى : أزعم أنك تقاوم الإرهاب ثم اقتل كما تشاء، والثانية : اخف الجثث ثم اكتب رواية أخرى للأحداث، الثالثة : امسح ذاكرة الأجيال لتضمن عدم المحاسبة

يحاول "سيسي" ونظمه أن يطبق ما حدث في حماة، فهل نجح في تطبيق قواعد المجذرة؟

بمتابعة ما حدث في الذكرى الثانية لمجزرة رابعة أستطيع أن أقول بكل ثقة أن ثورة يناير قد ربحت معركة الذاكرة، وأن الجريمة العظيم التي حدثت في الأربعاء الأسود 14 أغسطس 2015 ، أعني مجموعة مجازر رابعة العدوية قد سجلت في ذاكرة هذا الجيل، ولن يستطيع أحد أن يمحوها أبداً

لقد نفذ "سيسي" ونظمه القاعدة الأولى بتفوق، فزعم أنه يقاوم الإرهاب، وملأ الدنيا ضجيجاً عن حربه المزعومة، ثم ارتكب مجازره بقتل لا مثيل له في تاريخ هذا الشعب الطيب المسالم ولكنه حين حاول أن يخفي الجثث ليكتب روايته للتاريخ ... فشل !

وحاول نظامه أن يمسح الكثير من أرشيف الثورة على المواقع الالكترونية .. فوثق الناس هذه المحاولة البائسة !

لقد تغير الزمن، وكل شيء مسجل بالصوت والصورة، وتم توثيق المجذرة دققة بدقة، وفي كل يوم تظهر تفاصيل جديدة، ووثائقيات

جديدة، وبطولات، ومامسي، وجرائم ... وهيهات أن يتع肯 إعلامه المأجور على مواجهة هذا التوثيق العلمي !

وгин حاول "سيسي" أن يمسح ذاكرة الأجيال ... وجد نفسه محاصراً بتفاصيل مجازره، حتى أصبحت هذه المجازر تطارده، تمنعه من قمم دولية، تحرم عليه بعض العواصم الأوروبية، تضطره للهرب من المؤتمرات الصحفية، تجبره على الدخول والخروج من أبواب الخدم في الفنادق خوفاً من المتظاهرين، وسوف يحاسب على مجازره حسابة عسيراً

في الذكرى الثانية لمجازر رابعة ربحت الثورة حرب الذاكرة، العالم كله أدياً الذكرى في عشرات العواصم في قارات الدنيا

أما في مصر ... فقد تذكر الملائين سائر التفاصيل، لم ينس الناس شهيدها واحداً، لم يتجاهلوا ميداناً من الميادين، لم يستهينوا بأي ذكرى مهمها صغرتها

لقد عاش المصريون يوماً بعد يوم، يتذكرون رابعة والنهضة، وميدان مصطفى محمود، وأحداث رمسيس، ومسجد الفتح، ومجازرة عربة الترحيلات ... وغيرها

لقد كان صوت الإدانة هو الصوت الأعلى في مصر والعالم كله، وتراجعت الأصوات المؤيدة حتى كادت تخفي

لقد مرّت أربعة عقود على مجازرة مدينة حماة، ورغم ذلك استطاعت ذاكرة الشعب أن تفرض الحقيقة، وأن تظهر رواية الضحية رغم كل جهود السجان

ونحن اليوم في زمن السرعة، وفي عصر الكاميرات، وما استغرق أربعين عاماً في الماضي لم يستغرق عامين في عصرنا الحاضر

إن انحسار التأييد الشعبي لهذا النظام الممسخ يبشرنا باقتراب النهاية، ولكن البشارة الكبيرة ليست في انحسار التأييد ... بل في قدرة الناس على إلغاء الرواية الرسمية الكاذبة، والمحافظة على ذاكرتهم خارج إطار التدليس والتلفيق

إن قدرة هذه الثورة العظيمة على ريح حرب الذاكرة (في هذا الوقت القصير) هو أكبر بشاره على أنها ستتمكن من صنع حدث كبير، يخلق انفراجة تجبر العالم كله على احترام حق هذا الشعب في تقرير مصيره، ونيل حريته

عاشت مصر للمصريين وبالمصريين ...